

أضواء البيان

@ 86 الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا ؟ .

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِابْنِهِ إِيْلًا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيْرَاهُ فَلَمَّ سَا تَيِيْسَنَ لَهُ أُزَّهٌ ؕ ءَدُوُّوٌ لِلَّهِ تَيِيْرٌ ؕ أَمِنْهُ إِيْنٌ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْسَاهُ ؕ حَلِيْمٌ } تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادء دعوته حينما قال له أبوه { أَرَاغِيْبُ أَنْتَ عَن آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَلَّذِيْن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْ نِي مَلِيْسًا } قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِيْرَاهُ ؕ كَانَ بِي حَفِيْسًا } فكان قد وعده ووفَّى بعهدة ، فلما تبين له أنه عدو □ تبرأ منه ، فكان محل التأسى في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه ، لما تبين له أنه عدو □ . .

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى : { مَا كَانَ لِلَّذِيْن ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا } وَالَّذِيْن ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْن وَلَوْ كَانُوا ءَوْلِيَ قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَيِيْسَنَ لَهُمْ ؕ أَرَّهْمُ ؕ أَمْ حَتَّىٰ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِ } وفي هذه الآية وما قبلها أقوى دليل على أن دين الإسلام ليست فيه تبعية أحد لأحد ، بل كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . .

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة ، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال { رَبِّ إِيْنَّ ابْنِي مِن ءَهْلِي وَإِيْنَّ وَعْدَكَ ءَلْحَقٌّ } وَأَنْتَ ءَحْكَمُ ءَلْحَاكِمِيْن } فلما تبين له أمره أيضا من قوله تعالى : { يَا نُوحُ إِيْرَاهُ ؕ لَيَسَّ مِن ءَهْلِكَ إِيْرَاهُ ؕ عَمَلٌ غَيِرٌ صَالِحٍ } { قَالَ رَبِّ إِيْرَاهُ ؕ أَعُوذُ بِكَ أَنْ ءَسْأَلَكَ مَا لَيَسَّ لِي بِهِ ؕ عَلِمٌ } . فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه . .

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى : { ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِيْن كَفَرُوا ؕ امْرَأَتَ نُوْحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ ءَبْدِيْنٍ مِّنْ ءِيَادِنَا صَالِحِيْنٍ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْنِيْنَا عَنْهُمَا مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا } . .

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى : { وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِيْن ءَامَنُوا ؕ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ إِذْ قَالَتُ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيِّنَاتٍ فِي الْغَنَابَةِ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ
الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ { فتبرأت الزوجة من زوجها ، وهذا التأسى قد بين تمام البيان
معنى قوله تعالى : { لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ } أي ولا آباؤكم
ولا أحد من أقربائكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، وقول إبراهيم لأبيه { وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ